هذه الدعوات يقوم بها المعارضون للسلطات إذ أن لها بريقاً جذاباً وواقعاً فعالاً في نفوس الناس، ولذا فإن بن حفصون كان لا يوردها على أحد إلا أجابه وشكره (١٣٥).

الرهائن السياسيون في عهد الأمير عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)

يوصفُ الأمير عبد الله بأنه " لين العريكة شديد الحب للعافية" (١٣٦)حيث وصل الأمير عبد الله إلى عرشِ الإمارةِ الأموية بعد وفاة أخيه المنذر، فورث حملاً من المشكلات الكبيرة التي لم يتهيأ لسابقيه التمكن من حسم أمرها، فالإمارة الأموية كما يقول ابن عذاري " قد تحيفها النكث ومزقها الشقاق وحل عراها النفاق والفتنة مستولية، والدجنة متكاثفة، والقلوب مختلفة، وعصي الجماعة متصدعة، والباطل قد أعلن، والشر قد اشتهر، وقد تمالأ على أهل الإيمان حزب الشيطان، وصار الناس من ذلك في ظلماء ليل داج، لا إشراق لصباحه، ولا أفول لنجومه، وتألب على أهل الإسلام أهل الشرك ومن ضاهاهم من أهل الفتنة، الذين جردوا سيوفهم على أهل الإسلام، فصار أهل الإسلام بين قتيل ومحروق ومحصور، يعيش مجهوداً، ويموت هزلاً، قد انقطع الحرث، وكاد ينقطع النسل" (١٣٧)، "، فلم يبق تحت طاعة الأمير عبد الله سوي قرطبة وأقاليم معدودة (١٣٨).

(١٣٥)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١١٤.
(١٣٦)ابن حيان: المقتبس، مكى، ص ٣٥٥.
(١٣٧)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٢١.
(١٣٨)ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٧.

ولقد بلغ النزاع آنذاك أشده بين الإمارة الأموية من جانب وطوائف المجتمع من مولدين وعرب وبربر من جانب آخر، كما أن هذه الطوائف تصارعت مع بعضها البعض فلقد عمت حركة المولدين معظم أنحاء الأندلس تقريباً، وكان من أبرز زعمائهم آنذاك عمر بن حفصون في جنوب البلاد وعبد الرحمن بن مروان الجليقي في المناطق الممتدة من ماردة حتى البحر المحيط (الأطلسي) في الغرب، وبنو قسي في الثغر الأعلى، وديسم بن إسحاق في تدمير وغيرهم (١٣٩). كما أن البربر كانوا قد قاموا بالانتفاضة على السلطةِ الأمويةِ في بعض مناطق الأندلس، وكان بنو قسي بن ذي النون من أشهر من حمل لواء هذه الانتفاضة البربرية (١٤٠)، أما العرب فإن جل حركاتهم لحكومة قرطبة قد ظهرت في السنوات الأولى من عهد الأمير عبد الله، ولعل أبرز حركاتهم كانت في منطقة البيرة وبني تجيب في سرقسطة وإشبيلية (١٤١).

وهذه الحركات التي كادت أن تعصف بملك بني أمية في الأندلس تختلف كثيراً عن الحركات المناوئة لهم فيما سبق، وذلك من حيث أتساع نطاق هذه الثورات من ناحية والعناصر التي أثارتها من ناحية أخرى، بالإضافة إلى الدوافع المحركة لها. فقد بدأت هذه الحركات في أوائل النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وتفاقمت حتى وصلت ذروتها في عهد الأمير عبد الله، ولم تقتصر على عنصر بعينه من عناصر المجتمع المختلفة، وإنما شاركت فيها العناصر السكانية في كل البلاد تقريباً، وذلك لأن التفكك الاجتماعي كان واضحاً في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري، وخاصة في نصفه الثاني، فظهر سكان الأندلس وكأنهم لم ينصهروا تماماً، ولم يندمجوا الاندماج الذي يجعلهم شعباً واحداً (١٤٢).

(١٣٩)ابن حيان: المقتبس: إسماعيل العزب، ص٣٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٧٠-١٧٣.
(١٤٠)ابن حيان: المقتبس: إسماعيل العزب، ص٣٦- ٣٨.
(١٤١)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٣-١٣٥.
(١٤٢)العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٦٧؛ إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا، ص ٢٧٤.

الأميرُ عبد الله ورهائنُ عمَر بنِ حفصون

لقد استفاد عمرُ بنُ حفصون من التداول السريع للسلطة بين حكام الدولة الأموية، فعمل جاهداً على تحقيق طموحاته، إذ أنه في الفترة التي تعاقب فيها ثلاثة من الأمراء الأمويين، فكان انتقال السلطة يقتضي من الأمير الجديد أن يصرف جزءاً من وقته لأخذ البيعة ثم النظر في شئون الدولة الإدارية والمالية (١٤٣).

وفي حالة عمر بن حفصون توافق أن قوات الإمارة الأموية كانت تحاصره بقيادة ولي العهد الأمير المنذر عندما توفي الأمير محمد، فلم يكن أمام الأمير المنذر سوي فك الحصار، والعودة على وجه السرعة إلى قرطبة (١٤٤)، فاستغلَ عمرُ بن حفصون هذا الموقف لتقوية جانبه، وما ان صمم الأمير المنذر على قمع حركته حتى تكررت العملية مرة أخرى، حيث توفي الأمير المنذر الذي كان على رأس العسكر في سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م) (١٤٥)، وكان أخوه الأمير عبد الله قد قدم إلى معسكر الجيش، الذي انسحب إلى قرطبة ليتمكن من أخذ البيعة العامة فاستفاد عمر ابن حفصون من هذه الظروف، حيث هاجم بقوة الجموع المنسحبة إلى درجة أن الأمير عبد الله سأله الكف والتوقف عن مهاجمته ووعده بالصفح والتآلف (١٤٦).

(١٤٣)أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٤٤.
(١٤٤)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١١٤.
(١٤٥)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١١٩؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٦٣.
(١٤٦)مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٢٥؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١٧.

وأول ما تناوله ونظر فيه الأمير عبد الله أن وجه إبراهيم بن خمير لأخذ بيعة ابن حفصون فقصد إبراهيم إليه وطلب طاعته فوافق ابن حفصون وأرسل حفص ابنه وجماعة من أصحابه، فرحب الأمير عبد الله بقدومهم وأحتفي بهم وخلع عليهم الأعطيات والهدايا، ثم أخذت عليهم البيعة مقابل أن يستقر عمر بن حفصون في منطقة ببشتر في طاعة الأمير، فاستجاب الأمير عبد الله لطلبه وأرسل عبد الوهاب بن عبد الرؤوف ليكون والياً من قبله على كورة ريه شريكا لابن حفصون في حكمها (١٤٧)، فكان هذا القرار من قبل الإمارة الأموية اعترافاً صريحاً بنفوذ عمر بن حفصون في الجنوب الأندلسي.

ومن خلال هذه الهدنة استطاع ابن حفصون أن ينظم شئونه ويوطد سلطانه، ثم تعدي بعد ذلك حده ومد يده إلى ما نهي عنه واستحوذ على أهل الكور في أموالهم وأمضي نفسه على عادته الذميمة من الفساد وقطع السبل، وذلك في سنة (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) (١٤٨)، ووجه أحد قواده الأشداء وهو حفص بن المرة أشجع قواده على رأس جيش كبير قام بالهجوم على كورة إستجة، وما يليها من أعمال قرطبة، فأخرج إليه الأمير عبد الله جيشا بقيادة عبد الملك بن مسلمة الباجي، الذي التقي بقوات عمر بن حفصون في أحواز إقليم أُشُونَة (١٤٩)ولكن قوات عمر ابن حفصون تمكنت من هزيمة هذا الجيش وقتلت قائده عبد الملك وقام عمر بن حفصون بطرد عامل الأمير عبد الله المشارك له في حكم كورة رية (١٥٠).

(١٤٧)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٧٢، ٧٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٢١، ١٢٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٢٣، ٣٢٤.

(١٤٨)ابن حيان: المقتبس،: إسماعيل العزب، ص٧٣،٧٢؛ ابن عذارى: البيان المغرب،ج٢، ص١٢١، ١٢٢.

(١٤٩)أُشُونَة: إحدى الأقاليم الجنوبية لكورة إستجة، بينهما مسيرة نصف يوم؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٧٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص٦٠.

(١٥٠)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٧٢.

ونتيجةً لهذه الانتهاكات الصارخة من قبل عمر بن حفصون تحرك الأمير عبد الله بنفسه في سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)إلي بربشتر وحصون رية فانتسف معايشها [١٥١]ولم يدخل في مواجهة مع ابن حفصون الذي انكمش في حصنه والذي عاد لمد سلطانه مرة أخرى بعد عودة الأمير عبد الله لقرطبة [١٥٢]،فخرج ابن حفصون في إثره وتألف إليه المفسدون فأتوا إلى إسنجة، فاحتلوها، وقدم أهلها طاعتهم لابن حفصون ثم احتل أُشبونة [١٥٣]ولهذا انزعج الأمير عبد الله فأخرج جيشا لمواجهة تعديات ابن حفصون، الذي سرعان ما طلب الأمان والصلح فسارع الأمير عبد الله بإعطائه إياه، وأسند له كورة ريه للمرة الثانية [١٥٤].

وهذا التصرف من قبل الأمير عبد الله يظهره وكأنه يخطب ود ابن حفصون، ويوضح مدي ضعف الإمارة الأموية في مواجهة ابن حفصون، ويكشف ما تعانيه الإمارة الأموية من تدهور اقتصادي بسبب انقطاع جباية عدد من الأقاليم وأن الإمارة الأموية أنفقت مصروفات ضخمة في سبيل إخماد حركات التمرد [١٥٥]الأمر الذي انعكس بدوره على سياسة الأمير عبد الله المالية، فقلل من أعطيات الجند، فتخلي عنه العديد منهم [١٥٦]، بالإضافة إلى ذلك الانشقاق الذي حدث في البيت الأموي نفسه، إذ استجار الأمير محمد الابن الأكبر للأمير عبد الله بعمر بن حفصون إثر خلاف نشب بينهما، فأجاره عمر بن حفصون، ولم يعد محمد إلى قرطبة إلا بعد أن أمنه والده [١٥٧]، ولعل كل هذا حدا بالأمير عبد الله أن يصانع عمر

(١٥١)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٧٢، ٧٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج، ص ١٢١، ١٢٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٢٤.
(١٥٢)أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ص ٢٤٤.
(١٥٣)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٧٢، ٧٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج، ص ١٢٢،١٢١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٢٤.
(١٥٤)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٢٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٢٤.
(١٥٥)النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٧٠.
(١٥٦)مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٢٥.
(١٥٧)ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٦٧، ٣٦٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٧٠.

بن حفصون ويجعله على كورة ريه، فاستهان بهيبة الإمارة الأموية وهاجم المناطق الواقعة إلى الجنوب من مركزه ببشتر، وتمكنَّ من احتلالِ بعض حصون الجزيرةِ الخضراء، وحاصر حاضرتها التي فشل في الاستيلاء عليها (١٥٨)، وأظهر عمر بن حفصون الخروج عن الطاعة، وأشاع الفزع في النفوس، واستولى على كورة قبرة (١٥٩)التي كانت تتصل بأحواز قرطبة، إذ لم تبعد حاضرتها بيانة عن قرطبة العاصمة سوي ثلاثين ميلاً فقط (١٦٠)، وكان خطر عمر بن حفصون يحيط بالإمارة الأموية في ذلك الوقت، واستطاع أ ن يستولي على مدينة جيان (١٦١)، و اتَّخَذَ من مدينة إستجة عاصمة له، ومن حصن بلاي مركزا لتسليط هجماته على العاصمة الأموية (١٦٢).

موقعة بلاي

وفي سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م)اشتدت شوكة عمر بن حفصون وتداعي إليه أهلُ الشرِ والفسادِ من أقطار الأندلس، وطمعَ في التغلب على الأندلس بأسرها وأظهر الميل إلى دعوة المسودة من بني العباس إرهاباً لبني أمية في الأندلس، وأنه كاتب ابن الأغلب ولاطفه بالهدايا، وفي نفس الوقت كان عمر بن حفصون يدفع بغاراته شمالاً حتى أحواز قرطبة، وبسبب ذلك ازدادت أحوال العاصمة قرطبة سوءاً، فأنتشر بين أهلها الخوف، وساد الذعر، فتعطلت الأسواق،

(١٥٨)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٢.
(١٥٩)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٤.
(١٦٠)ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص ٥١٨.
(١٦١)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٢٣.
(١٦٢)مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٢٥؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١١٥.

وارتفعت الأسعار (١٦٣)، وأصبح ابن حفصون لا يقيم قدراً للأمير عبد الله، ولا يقدر لقوته وزناً، وبلغ من استهتاره به أنه كان يستبعد خروجه من قرطبة لقتاله إلى درجة أنه كان يقول من جاءني بخبر خروجه نحوي أعطيته خمسمائة دينار" (١٦٤)، وبلغ من جرأته أن حاول إحراق مخيم الأمير في ضاحية شَقُندة على مقربة من العاصمة. فعندئذ عول الأمير عبد الله على أن يخرج لقتاله مرة أخرى، فحشد ما استطاع من قواته، واتجه نحو الجنوب إلى ناحية قبرة حيثُ حشد عمر بن حفصون قواتهُ في معقل بلاي (١٦٥)

ويعتبرُ حصنُ بلاي من أمنع حصونِ قبرة الواقعة على مقربة من جنوبِ شرقي قرطبة، وقد أتقن عمر بن حفصون تقويته وتحصينه وجعله مركزاً للإغارة على المدنِ والحصونِ القريبة من قرطبة وتهديد أطراف العاصمة ذاتها، وكانت قوات الثوار تبلغ زهاء ثلاثين ألفاً ولا تعدو قوات الأندلس ثمانية عشر ألفاً (١٦٦).

ووقع اللقاءُ بين الفريقين على ضفاف نهر الفوشكة أحد فروع نهر الوادي الكبير على قيد مسافة قصيرة من بلاي، في الثاني من صفر سنة (٢٧٨هـ/١٦مايو سنة٨٩١م)وقاد جند الأندلس القائد عبيد الله بن محمد ابن أبي عبدة، وتولي ابن حفصون قيادة جنده بنفسه ونجح فرسان الأندلس في هزيمة الجناح الأيمن للثوار وتمزيقه، فدب الذعر إلى باقي القوات الثائرة، وركنت إلى الفرار، وهرعت الخيل في آثارهم فقتلت كثيراً منهم، وفر ابن حفصون في بعض قواته إلى حصن بلاي معولا على الامتناع به، ولكن هجره معظم جنده، مؤثرين الفرار على حصار

(١٦٣)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١١٦، ١١٧.
(١٦٤)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص١٢٠.
(١٦٥)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٢٢.
(١٦٦)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١١٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣؛ ص٣٩٥؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٣١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٢٤.

غير مأمون العاقبة؛ فلما رأي ابن حفصون عبث المقاومة ارتد في نفر من صحبه إلى شعب الجبال الجنوبية بعد أن فقد معظم قواته، وقتل من الثوار أثناء الموقعة وخلال المطاردة ألوف عدة، واحتل الأمير عبد الله حصن بلاي وقتل فيه من جند ابن حفصون زهاء الألف واستولى على كل محتوياته، وسار الأمير عبد الله بعد ذلك في أثر ابن حفصون إلى ببشتر قاعدته الرئيسية، وكان الثائر قد التجأ إليها عقب الهزيمة، واجتمع إليه كثير من أنصاره من أهل الجزيرة وعاث الأمير في تلك المنطقة ولم يخرج ابن حفصون إلى لقائه ولكنه حينما ارتد جيش الأندلس أدراجه حاول مطاردته واشتبك مع مؤخرته في معركة هزم فيها ورد على أعقابه سنة (٢٧٨هـ/ ٨٩١م) (١٦٧).

فنصرَ اللهُ الأمير نصراً عظيماً ثم انتقل بعسكره إلى مدينة إستجة التي كانت في طاعة عمر بن حفصون، وقد التجأ إليها معظم أصحابه الفارين، فأشتد عليهم الأمير محمد وضرب المدينة بالمنجنيق، فطلبوا الدخول في الطاعة وأبرزوا أطفالهم ونساءهم بأعلى السور مستعطفين الأمير بصراخهم وعويلهم، فأجابهم الأمير على ما التمسوه، وبسط لهم الأمان وتوثق منهم بالارتهان لرهط من وجوههم واستعمل عليهم عاملاً من قبله (١٦٨).

(١٦٧)ابن حيان: المقتبس،تحقيق إسماعيل، ص ١١٨ - ١٢٠.
(١٦٨)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٢٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٢٤، ٣٢٥.

عمرُ بنُ حفصون يطلب السلم ويقدم ابناً مزيفاً رهينة

وفي سنة (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) طلب عمر بن حفصون السلم خديعة فأجيب إليه وتوثق من نفسه بدفع رهينة له، ثم لم يلبث أن انتفض سريعاً وعاد إلى المعصية وكان السبب في ذلك أن أهل أرشذونة غدروا بأحمد بن هاشم بن عبد العزيز الوزير الذي استعمله الأمير عبد الله عليهم عند معاودتهم طاعته، ومحمد بن دنين العدمي المقيم معه فقبضوا عليهما، واستدعوا عمر بن حفصون فأدخلوه ليلاً وأسلموا له الرجلين، فقام عمر بن حفصون بقتل محمد بن دنين العدمي لحنقه عليه وأمسك ابن هاشم أسيراً عنده ونقد بذلك السلم واستمر في عصيانه (١٦٩)، وفي سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣)توجه المطرف بن الأمير عبد الله بالجيش إلى عمر بن حفصون ببربشتر ومعه القائد عبد الملك بن عبد الله بن أمية وكان سبب هذه الغزوة، نقض عمر بن حفصون الصلح الذي عقده مع الأمير عبد الله سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، وإعطائه كذلك " رهينة زعم أنه ولده، فلما أمتحن الغلام وجد أنه ليس بابنه، وأنه ابن خازن له تبناه ورباه" فكتب الأمير عبد الله لابن حفصون يوبخه على ذلك من مكره ويسأله إبدال الرهينة بولد له لا يخفي عينه، فامتنع عمر بن حفصون ونكث وأخذ يسعي في الأرض فساداً، فخرج إليه الأمير المطرف الذي أوقع هزيمة قاسية بعمر بن حفصون وقتل أكبر قواده حفص بن المرة وآخرين من خيرة

(١٦٩)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٢٨.

رجاله، ولا شك أن هذه الغزوة أضرت بعمر بن حفصون وشلت قوته وخاصة بعد أن قتل فيها عدد من كبار رجاله الذين " اشتد بهم فجعه، ووهن فيهم جناحه (١٧٠)

هذا النص السابق الذي أورده ابن حيان يؤكد أن الرهينة الذي كان يتم تقديمه من الثوار للإمارة الأموية كدليل على الطاعة كان يتم امتحانه، حتى يتأكد الأمير الأموي أنه ابن الثائر وبذلك تحقق الإمارة الأموية مقاصدها من أخذه، ويكون المرهون ورقة ضغط في مواجهة أي ثائر تسول له نفسه الخروج عن الطاعة.

فلما عادت جندُ الأمير إلى قرطبة عاد ابن حفصون يدبر خطط العدوان وجمع جموعه وزحف على إستجة واستولى عليها للمرة الثانية سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) فبادر الأمير عبد الله باستقدام الجند من النواحي وفي العام التالي سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) سير ولده أبان لقتال ابن حفصون ومعه القائد أحمد بن أبي عبدة. ونشبت بينها وبين قوات ابن حفصون عدة معارك محلية، ثم عادت إلى قرطبة عن طريق وادي آش. ولكن هذه المعارك لم تسفر عن أية نتيجة حاسمة، واقتنعت حكومة قرطبة بأنه لا بد من مضاعفة الأهبة لكي تستطيع أن تضع حداً لعدوان الزعيم الثائر (١٧١).

وفي سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩ م)أعلن عمر بن حفصون اعتناقه للنصرانية فخرج عليه بعض قواده المسلمين وامتنعوا بحصونهم وبعثوا بطاعتهم إلى الأمير عبدالله واشتد السخط عليه في سائر جنبات الأندلس، ورأي المسلمون في قتاله نوعاً من الجهاد، وحاول ابن حفصون من جانبه أن يقوي مركزه بعقد محالفات جديدة، ففاوض ألفونسو الثالث ملك ليون وبني قسيّ، كما

(١٧٠)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٣٠. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٣٦.
(١٧١)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٤٣. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٨. عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٣٦.

فاوض بعض أمراء المغرب ولكن العون الحقيقي جاء من ناحية أخرى ذلك أن إبراهيم بن حجاج سيد إشبيلية وقرمونة لما ساءت العلاقات بينه وبين الأمير عبد الله بسبب رفضه إطلاق سراح ولده، قطع الجزية وأعلن استقلاله وتحالف مع ابن حفصون (٢٨٧ هـ/٩٠٠م)وغدا الاثنان قوة يحسب حسابها (١٧٢).

لقد توجست حكومة قرطبة شراً من تحاف إبراهيم بن حجاج مع عمر بن حفصون، فبعث الأمير عبدالله إلى ابن حفصون يعرض عليه شروطاً مغرية للصلح، فقبل الثائر هذا العرض، وبعث إلى قرطبة أربع رهائن من أصحابه، منهم خازنه وحليفه سعيد بن مستنة الثائر من قبل في باغة بيد أنه لم يمض قليل على ذلك، حتى حدث خلاف في تنفيذ الشروط بين الفريقين، وعاد ابن حفصون فأعلن الخلاف وتأهب للحرب، وعاونه حليفه ابن حجاج بقوة من الفرسان عليهم فجيل بن مسلم الشذوني، وسارت جند الأندلس بقيادة أحمد بن أبي عبدة، وخرج ابن حفصون من إستجة التي اتخذها قاعدة لملاقاته. واشتبك الفريقان في "إستبة" الواقعة جنوبي إستجة على مقربة من نهر شنيل، فهزم جند الأندلس في البداية وقتل منهم بضع مئات ولكنهم عادوا فكروا على قوات ابن حفصون بعنف وأوقعوا بها هزيمة شديدة سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) استرد بها ما كان خسره في الموقعة السابقة (١٧٣)، وعلى أثر ذلك أمر الأمير عبد الله بقتل رهائن ابن حفصون ما عدا ابن مستنة إذ افتدي حياته بالخضوع والطاعة (١٧٤)، ومن الواضح أن هؤلاء الرهائن الأربعة كان فيهم ابن أخي عمر بن حفصون.

(١٧٢)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل، ص ١٥٢، ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، هامش ص ٣٧٦.
(١٧٣)ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص١٢٣؛ ابن حيان: المقتبس،: إسماعيل العزب، ص ١٥٢، ١٥٣.
(١٧٤)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٣٧.

حيث كاد الأمير عبد الله يتميز من الغيظ، عندما ترامت إليه الأنباء بما فعله هذان الحليفان فأمر بقتل ابن أخي عمر بن حفصون، وكذلك عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج حيث كان قد احتجزهما عنده، ولما نفذ القتل في ابن أخي عمر بن حفصون أشار بعض رجال الدولة بإبقاء عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج، وذلك لأن في قتله توثيقاً للحلف القائم بين والده وبين عمر بن حفصون، فاستصوب الأمير عبد الله هذا الرأي، فقام بإطلاق سراح عبد الرحمن ابن إبراهيم وعلاوة على ذلك سجل رسمياً لبني حجاج عامة على المناطق التي كانوا يسيطرون عليها [١٧٥]وبسبب هذه السياسة التي انتهجها الأمير عبد الله انحل ما كان يجمع بين ابن حفصون وابن حجاج من اتفاق عسكري، فلم يشتركا معا بعد ذلك في تجهيز أي جيش ضد الإمارة الأموية، بالرغم من أن الاتصال الودي بقي قائما بينهما حتى آخر أيامهما [١٧٦].

وبقتل ابن أخي عمر بن حفصون المرهون عند الأمير عبد الأمير عبد الله يتضح لنا أن الإمارة الأموية قد أصبحت في هذا الوقت أكثر قوة وأكثر ثباتاً وأنها على استعداد للدخول في معارك حربية فاصلة مع ابن حفصون وأنها أخيراً قد فطنت لحيله وأنه لا يحترم السلم، فأقدمت على قتل ابن أخيه، ونجد أن الأمير عبد الله اشتد في التعامل مع ابن حفصون من ذي قبل ففي سنة (٢٨٨هـ/٩٠٠م) تكرر طلب عمر بن حفصون إلى معاودة الطاعة فتم الصلح وقبضت رهائنه [١٧٧].

وفي سنة (٢٩١هـ/٩٠٣م)أرسل إليه الصائفة بقيادة ابنه أبان وما إن بلغ الجيش الأموي يبشتر حتى خرج عمر بن حفصون بقواته فجرت بين الجانبين معركة شديدة تكشفت عن نصر

(١٧٥)ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١٢٢، ١٢٣.
(١٧٦)ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص١٢٣؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥٣.
(١٧٧)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٩.

كبير للأمويين [١٧٨]، ومن الملاحظ أن الدولة الأموية في هذه الفترة لم تقبل من عمر ابن حفصون الموادعة [١٧٩]التي كان يلجا إليها عند شعوره بالضعف وعملت الإمارة الأموية على تفريق أنصاره وقامت بافتتاح ومصالحة العديد من الحصون الواقعة تحت طاعته [١٨٠]، وأن الإمارة الأموية رضيت بالجباية من أكثر المتمردين وتركتهم يديرون أقاليمهم بأنفسهم، وهي بذلك لم تكن قد وصلت إلى القوة الفعلية التي تمكنها من السيطرة على أقاليم الأندلس.

استطاع الأمير عبد الله أن يحول ثورة عمر بن حفصون من ثورة عامة تهدف إلى الإطاحة بحكمه، إلى حركة لا تختلف عن غيرها، وخصوصا أن الأمير عبد الله أبدي الحزم تجاه ابن حفصون وقام بقتل ابن أخ عمر بن حفصون المرهون في قرطبة واستخدم كل الإمكانات في سبيل مواجهته.

(١٧٨)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٠.
(١٧٩)أحمد بدر: دراسات في تاريخ الأندلس، ص٢٦٠.
(١٨٠)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٠.

محمد بن أضحى (١٨١)يقدم ابنيه رهائن لابن حفصون

كان محمد بن أضحي يسيطر على حصن الحمة الواقع في الأجزاء الجنوبية من كورة البيرة وكان على عداء مع سعيد بن جودي، الذي قتل غدراً سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧هـ) (١٨٢)، فتولي محمد بن أضحي أمر العرب بإلبيرة (١٨٣)، فأمسي على طاعة الأمير عبد الله وأضحى؛ فناصب ابن حفصون الحرب، ودارت بينهما حروبٌ عصيبةٌ، تمكن عمر بن حفصون من أسره فيها، فبقي محمد بن أضحي في الأسر إلى أن افتداه العرب بمال جسيم (١٨٤)، وهناك روايةٌ تشير إلى أن ابن أضحي هو الذي افتك نفسه من الأسر بإرتهان ابنيه لدي عمر بن حفصون، إذ يذكر ابن حيان: أن عبد الرحمن الناصر في أوائل حكمه سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م)قد دفع إلى محمد ابن أضحي أحد الأسرى الموالين لابن حفصون وهو مسلمة بن رؤبة (١٨٥)" ففادي به ابنيه المرتهنين عند عمر بن حفصون عما كان قاطعه به عن نفسه في أسره" (١٨٦)، وقد يتثنى لنا الجمع بين الروايتين والأخذ بهما، فيبدو أن عمر بن حفصون اشترط على محمد بن أضحي شروطا حتى

(١٨١)محمد بن أضحي بن عبد اللطيف الهمداني: من أكابر أبناء العرب بكورة إلبيرة إذ يعود نسبه إلى قبيلة همذان اليمنية، حيث كان جده من أوائل الزعماء اليمنيين الذين ناصروا عبد الرحمن الداخل وهو صاحب حصن الحمة من أعمال إلبيرة زمن الفتنة، وقام بأمر العرب بعد قتل سعيد بن جودي، وتمسك بموالاة أمير عبد الله بن محمد إلى آخر مدته، وأورث عقبه نباهة ورياسة انسحبت عليهم دهراً وكان ابن أضحي هذا، مع رجوليته، أديباً خطيباً، يقوم بين أيدي الخلفاء في المحافل فيحسن القول ويطيب الثناء؛ وله أخبار معروفة. ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص٤٥؛ ابن الأبار:الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٧٩،٣٧٨؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٧.

(١٨٢)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٥٠.

(١٨٣)ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٢٢٨.

(١٨٤)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٤.

(١٨٥)مسلمة بن رؤبة: أحد قواد عمر بن حفصون، نجح الأمير عبد الرحمن الناصر في أسره هو ووجوه أصحابه وذلك عندما إفتتح حصن فنيانة عنوة بعد قتال إستمر أحد عشرة يوما. ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٦٣.

(١٨٦)ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٦٤.

يوافق على إطلاق أسره وهي أن يدخلَ في عداء الأمير عبد الله ولا يصانعه ويؤيد ذلك رواية ابن حيان " عما كان قاطعه به عن نفسه" (١٨٧)فهذه العبارة تدل على أن ابن أضحي أعطي ابن حفصون عهودا فأخذ ابن حفصون ابنيه رهائن على تلك العهود و بعد أن فك عمر بن حفصون أسر محمد بن أضحي خرج عن طاعة الأمير عبد الله وناصبه العداء حتى استنزله الأمير عبد الرحمن الناصر من حصنه (١٨٨). . وهذا التحليل يبين سب باتخاذ عمر بن حفصون رهائن من محمد بن أضحي ليعادي الإمارة

الأموية، وهو بذلك يرد على الأمير عبد الله الذي أفشل تحالفه مع إبراهيم بن حجاج ونستدل كذلك أن الأمير عبد الرحمن الناصر استخدم الأسرى في فداء الرهائن.

عاملُ مدينةِ إشبيلية يحتمي بالرهائن العرب:

كان سكان إشبيلية مزيجاً من العرب والمولدين والبربر واستقرتِ بإشبيلية أسرات عربية كان أبرزها بنو حجاج (١٨٩)وبنو خلدون (١٩٠)وبنو عبده وإلى جانب هذه الأسرات العربية عاشت أسرات أخرى من المولدين ومنهم بنو أنجلين وبنو شبرقة وبنو الجريج، وكان المولدون أغلظ

(١٨٧)ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٦٤.
(١٨٨)ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٧٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٧.
(١٨٩)بنو حجاج: فإنهم يرجعون بنسبتهم إلى لخم، ويتصلون في الوقت نفسه من ناحية الأمومة بملوك القوط، وذلك عن طريق سارة القوطية حفيدة وتيزا ملك القوط؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٣١. حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص ٦١،٦٢؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٢٦.
(١٩٠)بنو خلدون: ينتسبون إلى العرب اليمانية في حضرموت، وإليهم ينتسب المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون، وكان زعيم بيتهم يومئذ كريب بن عثمان بن خلدون وأخوه خالد؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٣١.

أهل إشبيلية شوكة وأوسعهم نعمة وأعزهم جانبا، وإلى جانب العرب والمولدين كان هناك زعماء قريش ومواليهم من العرب والبربر (١٩١).

وكان التنافس بين العرب والمولدين في النفوذ والرياسة، من أهمَ أسبابِ الاضطرابِ في المجتمع الأندلسي يومئذ، وكان بنو خلدون أول من رفع لواء الثورة في إشبيلية في سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)، وخرج زعيمهم كريب بن عثمان ابن خلدون في أنصاره وحلفائه من المولدين والبربر الذين رأوا أن يعملوا على إذكاء المعركة بين الأسر العربية، وتحالف مع ابن مروان الجليقي الثائر ببطليوس (١٩٢)، ودعا كريب قومه العرب اليمنية في إشبيلية إلى الالتفاف حوله، وأتصل بزعماء المتمردين في كورتي شذونة ولبلة، وبعض زعماء البربر البرانس، وعقد تحالفا معهم، فساور المولدون في حاضرة إشبيلية القلق فتحالفوا مع العرب المضرية والبربر البتر، فكونوا بذلك جبهة مضادة لكريب وحلفاؤه (١٩٣).

وبجانب هاتين الكتلتين قامت فئة حيادية تناصر الإمارة الأموية، وتمقت الخروج عليها، ففشل كريب في تحقيق مأربه في إشبيلية، فغادرها إلى إقليم الشرف واستوطن قرية البلاط فيه (١٩٤)، وعمل على إحلال الفوضى في إشبيلية، وأغري بربر مدينة ماردة بالإغارة عليها، وذلك ليبغض الأمير عبد الله في نفوس أهلها وحقق ما أراد، وبان وهن السلطان، ومقته رعيته، وقويت أطماع أهل الشر في كل جهة، وكثف البربر غاراتهم على إشبيلية، وأنتشر

(١٩١)حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص٦٣، ٦٤.

(١٩٢)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٩١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٣١؛ حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص ٦٥.

(١٩٣)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٩١، ٩٢.

(١٩٤)إقليم الشرف: أحد الأقاليم إشبيلية، وهو على بعد ثلاثة أميال ويقع إلى الغرب منها، وهو ما بين إشبيلية ولبلة والبحر المظلم وفيه من المعاقل حصن القصر ومدينة لبلة وولية وجزيرة شلطيش وجبل العيون.

ويعرف حتى الأن بالإسم نفسه. العذرى: نصوص عن الأندلس، ص٩٥؛ ابن غالب فرحة الأنفس، ص٢٣، ٢٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام،ج٣، ص١٣٥؛ حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص ٣٨٤.

قطاع الطرق، فكان من أعتاهم رجل من البربر يدعى الطماشكة، إذ اتَّخَذَ من الطريق بين إشبيلية والعاصمة قرطبة مجالا واسعا لعمليات النهب والسلب والفساد (١٩٥).

ولعل هذا الاضطراب الذي خيم على كورة إشبيلية هو ما كان يسعي إليه كريب بن خلدون، ونتيجة لهذه الأوضاع اتصل أحد زعماء مدينة إشبيلية وهو محمد بن غالب بالأمير عبد الله واستأذنه في بناء حصن بقرية شنت طرش (١٩٦)، وتكفل له بإعادة الأمن والاستقرار، فلم يمانع الأمير عبد الله (١٩٧)، لم يسر العرب اليمنية في إشبيلية بالحالة التي بلغها ابن غالب، وكأنهم رأوا أن عمله ذلك سوف يبطل مخططاتهم، ذاك أن ابن غالب لم يكن ينتمي إليهم، كما أن الغالب على أتباعه أنهم من المناوئين للعرب، لذلك تحالف بنو خلدون مع بني حجاج، ووقعت اشتباكات بين الجانبين قتل فيها رجل من بني حجاج فأراد العرب أن يسخروا هذه الحادثة لدعم موقفهم لدي السلطات الأموية فادعوا عند عامل الإمارة في إشبيلية أن ابن غالب قد اغتال صاحبهم غدراً، وأردفوا ذلك بشهادات مزورة، فلما لم يفلح عامل الإمارة في حلِ القضية فأحالها للأمير عبد الله، ولكن الأمر التبس عليه، ورأي ألا يتعجل في البت فيها حتى تقوي الأدلة، فبعث ابنه محمد لهذا الغرض فلم يوفق في حلها فأرجأ الحكم فيها، ولعل الأمير عبد الله رأي أن إرجاء الحكم بحجة عدم وضوح الأدلة سوف يخفف من حدة الخلاف بين المتخاصمين في الوقت الذي تكون فيه الإمارة قد عززت سلطانها في كورة إشبيلية، وأنه ولي

(١٩٥)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٩٢ - ٩٣.

(١٩٦)شنت طرش: (Siete Torres)وهي إحدى القري التابعة لإشبيلية على الطريق الذي كان يربطها بقرطبة، وموقعها على حدود إشبيلية مع إستجة. ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٩٢، ٩٣؛ العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ١٠٤.

(١٩٧)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٩٣.

وعزل عنها أكثر من عامل إلى أن وقع اختياره على أمية بن عبد الغافر الخالدي الذي يوصف بأنه كان "شهما، بعيد الصيت، منيع الجانب" (١٩٨).

على أن العرب اشتدَّ غضبهم، حينما أجل الأمير محمد القضية، وسمح لمحمد بن غالب بالعودة إلى حصنه، وكأنهم قد فهموا من هذا الموقف أن الإمارة بدأت تميل في صف بن غالب، لذلك قرروا الرحيل عن الحاضرة، فأتجه بني حجاج إلى باديتهم بالسند المنسوب إليهم، بينما خرج بنو خلدون إلى قريتهم بالشرف، وبدأ الجميع مع حلفائهم من العرب اليمنية والبربر البرانس بإشاعة الفوضى في المنطقة عن طريق الإغارة والسطو على بعض المراكز المهمة، ثم تطور الأمر بهم فاستولى عبد الله بن حجاج مع حليفه البربري جنيد بن وهب على مدينة قرمونة بعد طرد عاملها الأموي، أما كريب بن خلدون فقد ضبط حصن قورة، واتَّخَذَهُ قاعدة لنشاطه، كما جرت اتصالات بين ابن غالب صاحب حصن شنت طرش وبين وجوه المولدين من أهل إشبيلية واتفقوا معه على خلع الطاعة، ولكن محمد بن الأمير عبد الله الموجود في إشبيلية آنذاك اطلع على هذه الاتصالات، فكتب إلى والده في قرطبة ينبئه بكل التطورات التي جرت على ساحة إشبيلية، سواء ما كان قد ارتكبه العرب، أو ما خطط له المولدون مع ابن غالب، فقرر الأمير عبد الله القضاء على محمد بن غالب لاستئلاف قلوب العرب (١٩٩).

إمعانا في سرية التنفيذ أخفي الأمير عبد الله الخطة المرسومة حتى عن إصبغ بن عيسي الوزير المصاحب لهذه الحملة، كما كتب إلى بن غالب يحثه على الخروج في أصحابه، والالتحاق في الجيش الأموي المتجه إلى قرمونة، ولقد استراب محمد بن غالب من هذه الحركة، وذلك لخوفه من تسرب أخبار اتفاقه السري مع المولدين في إشبيلية إلى الأمير عبد الله، أو ربما كان مصدر

(١٩٨)ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص٩٤.
(١٩٩)ابن حيان: المقتبس، إسماعيل العزب، ص٩٦، ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٧٤.

خوفه من الإمارة أيضا هو أنه في ذلك الحين " قد نفر وجنح إلى ابن حفصون، فخشي أن يعاقبه الأمير عبد الله على فعله هذا، فكتب إليه القائد جعد يطمئنه، ويؤكد له أن الحملة إنما خرجت لقتال العرب، فصدق بن غالب قوله، وخاصة أنه كان مندفعا للانتقام من بني حجاج وبني خلدون، فأستقبله جعد وقضي حقه، وبمجرد أن عسكر الجيش حول قرمونة اتصل القائد جعد بعبد الله المستبد بحكمها، وخبره بأنه سينصفه من ابن غالب بالقتل إنه هو تعهد بالعودة إلى الطاعة، فلما أجاب بن حجاج بالموافقة بدأ جعد يترصد لابن غالب إلى أن وجد منه غرة فقبض عليه وقتله صبرا، ثم بعث برأسه إلى ابن حجاج في قرمونة، وعندئذ وفي بن حجاج بعهده وسلم مدينة قرمونة للأمويين، ولم يكتفِ جعد بقتل ابن غالب، بل انتقل إلى حصنه شنت طرش فهدمه وشتت من كان فيه (٢٠٠).

أثار مقتل ابن غالب غضبةً عارمةً بين المولدين في حاضرة إشبيلية فنهضوا إلى محمد بن الأمير عبد الله وأفضوا إليه ما بأنفسهم من شكوك حول نوايا الإمارة، وطلبوا منه تسليم مفاتيح الحاضرة ليأمنوا على أرواحهم، وكان محمد بن الأمير عبد الله آنذاك لا يملك قوة يدفعهم بها، فاضطر إلى الاستجابة لهو دون قيد أو شرط (٢٠١)، وحينما صار زمام المدينة بأيديهم كشروا عن أنيابهم وطلبوا القود من عامل المدينة أمية بن عبد الغافر الذي قُتل ابن غالب على يد أخيه جعد، واستنصروا حليفهم بن مولود (٢٠٢)فبعث إليهم قوة عسكرية تجرؤوا بوصولها على إعلان الثورة وحاصروا قصر الحكم وشنوا هجوما صارخا عليه، فدافعهم أمية وظل يقاتلهم حتى

(٢٠٠)ابن حيان: المقتبس؛: إسماعيل العزب، ص٩٦.

(٢٠١)ابن حيان: المقتبس؛: إسماعيل العزب، ص٩٦.

(٢٠٢)طالب بن مولود: من موالي الأندلس، و كان يقطن في كورة شـذونة، نجح في مد نفوذه إلى الأراضـي المجاورة، فأحكم قبضته على كورة مورور، وبدأت تحركاته سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)قصدته قوات الإمارة في منطقة تمرده ونجحت في قتله، في صدر ربيع الآخر سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م). ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١١٥؛ العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

قدم جيش الإمارة بقيادة أخيه جعد بن عبد الغافر حيث أن المحاصرين كانوا قد استصرخوه فأتي إليهم ووجد أخيه و الأمير محمد بن الأمير عبدالله وهما بآخر رمق، وسيطر الجيش الأموي على المدينة وأمر محمد بن الأمير عبد الله محمد بن الأمير عبد الله بتشتيت الثائرين ونهبِ دورهم، وترك مقاليد إشبيلية بيد أمية عبد الغافر ثم عاد لقرطبة (٢٠٣).

فلما تفرد أمية بحكم إشبيلية قرب إليه زعيمي العرب كريب بن خلدون وعبد الله بن حجاج، وأظهر لهما أنه مستظهر بهما على أهل الحاضرة أعدائهما، وبالغ في نكاية المولدين من أجلهما، فأظهرا إليه القبول وأقاما لديه مدة، ولكنهما تركوه حبا للفتنة حيث عاد كريب بن خلدون إلى معقله قورة، ودخل وعبد الله بن حجاج، قرمونة مرة أخرى وملكها، وصرحا بشق عصا الطاعة، حيث " تضافر كل واحد منهما من جاوره من أهل الخلاف، فقويت شوكتهما" (٢٠٤).

ولم يكن هذا السلوك من قبل زعيمي العرب غريباً حيث إن اجتماعهم المؤقت عند أمية بن عبد الغافر كان من أجل القضاء على المولدين، فلما تم لهم مرادهم عادوا لشق عصا الطاعة، لذلك لجأ أمية بن عبد الغافر إلى خلخلة صفوف العرب وحلفائهم من البربر عن طريق إثارة الشقاق بين رؤسائهم، فأوقع بين عبد الله بن حجاج وصاحبه البربري المشارك له في حكم قرمونة جنيد بن وهبه الذي وثب على بن حجاج وقتله، وسبي أهله ونهب ماله، ثم بعث برأسه إلى أمية بن عبد الغافر سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م) (٢٠٥).

(٢٠٣)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٩٨؛ ابن عذارى: نصوص عن الأندلس، ص١٠٢.
(٢٠٤)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٩٩. ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٧٤.
(٢٠٥)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٩٩.

فترتب على ذلك التحالف بين العرب اليمنية حتى أن رئاسة إبراهيم بن حجاج اللخمي على قومه وأتباعه العرب بعد مقتل أخيه عبد الله قد تمت بإجماع من كريب بن خلدون، لذلك بادر أمية بالتبرؤ من دم عبد الله بن خلدون فنافقه العرب بالتصديق، فحاول الإيقاع بين بني حجاج وبني خلدون، فأتصل بكريب بن خلدون فدعاه للانضمام إليه ضد بني حجاج فتظاهر كريب بالقبول، لكنه كان هو وحليفه بن حجاج يخططان للإطاحة به (٢٠٦)،

ويبدو أن أمية قد اكتشف فشل سياسة الوقيعة بين زعيمي العرب (٢٠٧)فخاف على نفسه وشرع في بناء قصبة بجوار قصر الحكم في إشبيلية وعندما اعترض العرب عليه تذرع بأن ما يفعله إنما هو تنفيذ لأوامر الأمير عبد الله، ولكنهم لم يلتفتوا إلى قوله "وحاولوا منعه بالقوة فوجدوه مستعدا ومعه جملة من الحشم فاستظهر عليهم بهم فاقصروا عن مغالبته ولاذوا بطاعته وسلموا لأمره فلم يقبل منهم إلا على رهائن من وجوههم يضعونهم عنده ليطمئن إلى حبسهم لديه فأجبوه إلى ذلك، ولم يدع بيتا من العرب إلا أخذ منه رهينة ولدا وأخا وبن عم، فلما قبض منهم الرهائن طابت نفسه، فتمادي في عمله"، وقد جعل أمية الرهائن في قصر الحكم (٢٠٨)ومن المؤكد أنهم تلقوا معاملة حسنة وخصوصا أن الرهائن من وجوه العرب في إشبيلية.

فأخذ العربُ يترصدون له وقد استمالوا أحد أصحابه فصيروه عينا عليه فأخبرهم في أحد الأيام أن الفرصة سانحةً للقضاء عليه لانفراده بالقصر وحده فقاموا بالهجوم عليه وأخذوا عليه باب القصر، فمن كان خارجا عنه لم يقدر على الدخول إليه، فبادر أمية بالصعود إلى أعلي القصر فيمن خلص معه من غلمانه، ولما رأي إصرار بني خلدون وبني حجاج لأخذه، أخرج الرهائن

(٢٠٦)ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٧٤.
(٢٠٧)حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية، ص ٧٧.
(٢٠٨)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١٠٠.

الذين كانوا عنده منهم فأشرف بهم إلى موضع يراعهم منه أهلوهم وأمر بضرب أعناقهم فاستغاثوا وأرسلوا إلى أهليهم في تخليصهم من يديه، "فبعث بنو خلدون وبنو حجاج يستوقفونه ويستلطفونه بالقول ويتوسلون إليه بذمة السلف ويسألونه الإبقاء ويعرفونه أن مذهبهم ملك بلدهم على السلطان على ما قد فعله سواهم من ألأهل الكور، وأن تمام ذلك بخروجه آمنا على نفسه وماله وأصحابه على أن يعاهدوه على ذلك بما تطيب به نفسه" (٢٠٩).

ووقف له كريب بن خلدون وأبوه وإبراهيم بن حجاج وأخوه، وبشر بن محمد بن عبد الملك على الباب الشرقي على مما يلي القصر وحلف له كل واحد منهم خمسين يميناً على الوفاء بما عاقدوه عليه وأنه لا ينبذه بمكروه ويخلي له سبيله ويبلغ مأمنه، فلما اقتضي أيمانهم طابت نفسه وأطلق لهم رهائنهم، فلما صاروا عندهم نكثوا أيمانهم وغدروا به، وعندئذ أيقن أمية بالهلاك فاستمات في قتالهم مقبلا غير مدبر (٢١٠).

ولقد أخطا أمية بن عبد الغافر خطأً كبيراً كلفه حياته، حيث أجابهم إلى مطلبهم لقلة المدافعين عنه، مقابل مغادرته إشبيلية أمناً، ولم يدرك أمية قيمة الرهائن الذين تحت يديه والذين كانوا سبباً لنجاته في المرة الأولى.

وبمقتلِ أمية بن عبد الغافر بسط العربُ سلطانهم على إشبيلية ولم يجنحوا للخروج على الأمير عبد الله، وأظهروا أنهم قتلوا أمية بسبب جنوحه إلى العصيان، أما هم فإنهم لا يزالون على الطاعة، ولا مانع من إرسال عامل آخر إليهم، فأظهر الأمير عبد الله قبول عذرهم، وأرسل إليهم المددي عاملاً عليهم فكان بمثابة التابع، فأخرج الأميرُ عبد الله إليهم عمه هشام بن الأمير عبد الرحمن وصرف المددي، فحجر كريب بن خلدون وإبراهيم بن حجاج عليه، بل إن كريب قد

(٢٠٩)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١٠٠.
(٢١٠)ابن حيان: المقتبس،: إسماعيل العزب، ص١٠١.

استحل دم المطرف ولد هشام وقتله بدون سبب، فأرسل إليه هشام مستغيثاً فتغافل عنه الأمير عبد الله مدة من الزمن، وذلك لأنه لا يمتلك من الوسائل ما يستطيع به ردع العرب في إشبيلية، وعندما تحسنت أحواله في سنة (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)أعد حملةً وأمر عليها ابنه المطرف، وجعل القيادة فيها لوزيره عبد الملك بن عبد الله بن أمية للتوجه إلى الخارجين على السلطة، فعسكر الجيش على بعد ميلين من إشبيلية (٢١١).

ويبدو أن المراسلات جرت بين المطرف والعرب وتعهد العرب بتقديم الطاعة والولاء للمطرف إذا خلصهم من الوزير عبد الملك فوافق المطرف على هذا الطلب وقام بقتله وأرسل برأسهِ إلى إشبيلية وعندئذ أجابوه إلى ما كانوا عاهدوه عليه والتحق إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون بحملة المطرف (٢١٢).

وأسند المطرف القيادة إلى أحمد بن هاشم بن عبد العزيز واستأنف المسير نحو الجنوب الأندلسي، ومضي يتعقب المتمردين بالصلح تارةً وبالحرب تارة أخرى، واستمر على ذلك عدة أشهر ثم قفل راجعاً إلى قرطبة، وجعل طريق العودة يمر بإشبيلية، فلما حل بها امتنع أهلها عنه بقيادة كريب بن خلدون، فاضطر المطرف إلى تكبيل إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون وأصحابهما والذين كانوا مصاحبين له في حملته، وقام أهل إشبيلية بالهجوم على مقدمته فجرت بين الجانبين حربٌ هزم فيها أهل إشبيلية، وأمر المطرف بالتشديد على بن حجاج ومن على شاكلته ثم قفل إلى قرطبة، فأرسل أهل إشبيلية جبايتهم ورغم ذلك أمر المطرف بسجن أهل إشبيلية في قرطبة (٢١٣).

(٢١١)ابن حيان: المقتبس؛: إسماعيل العزب، ص ١٠٢.
(٢١٢)ابن حيان: المقتبس؛: إسماعيل العزب، ص ١٠١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٧٤.
(٢١٣)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٠٤.

رهائن لتأسيس دولة بني حجاج وبني خلدون في إشبيلية:

لما اشتد خطرُ عمر بن حفصون، أشارَ بعُض وزراء الأمير عبد الله بإطلاق سراح إبراهيم بن حجاج، وخالد بن عثمان بن خلدون، ومسلمة بن محمد بن عبد الملك السكوني وأصحابهم خوفًا من تغلب عمر بن حفصون على بلادهم أثناء غيابهم " فهم في حال أضعف شوكة منه، وأن توثق منهم بالأمان ومن عليهم بإطلاق سراحهم شكروا حادثة النعمة وسدوا بلادهم عن ابن حفصون" فأخذ الأمير عبد الله بهذا الرأي وأطلق سراحهم بعد أن أقسم كل منهم في المسجد الجامع بقرطبة خمسين يميناً أن لا يخرج عن طاعة الأمير، كما أخذ منهم بعض الرهائن ضماناً كي لا ينكثوا عن طاعة الدولة الأموية (٢١٤)، وقدم زعماء الفتنة رهائن من الولد والأهل، حيث ترك إبراهيم بن الحجاج ابنه رهينة بقرطبة واتُفق على أن يشترك في حكم المدينة إبراهيم بن حجاج وكريب بن خلدون باسم الأمير وفي طاعته، فتوزعت كورتها بينهما إلى نصفين وبقيا على ذلك مدة وقد أخذ الأمير عبد الله بالوقيعة بينهما حتى يضعف قبضة كل منهما على إشبيلية من ناحية ولكي يضمن عدم تحالفهما معا ضد الإمارة الأموية من ناحية أخرى (٢١٥)وكان كريب طاغية فنفر منه الشعب، أما إبراهيم فكان رفيقاً فكثر أنصاره ورجحت

(٢١٤)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١٠٥؛ حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص٦٣،٦٤.
(٢١٥)ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٧٥.؛ حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص٨٩.

كفته واستطاع أن يحصل من الأمير عبد الله سراً على عهد بولاية المدينة، فدبر مقتل كريب ابن خلدون وأخيه خالد، وانفرد بحكم إشبيلية سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) (٢١٦).

وكتب إبراهيم بن حجاج إلى الأمير عبد الله بن محمد بقرطبة يتبرأ من دمهما وأنهما كانا يدفعانه لخلع الطاعة وأنه الآن على الطاعة ويطلب تعينه على ولاية إشبيلية، على أن يدفع كل عام من جبايتها سبعة آلاف دينار، فأجابه الأمير إلى ذلك وأشرك معه في ولايتها القائد قاسم بن وليد الكلبي، فأقام معه عدة شهور حتى استقرت أحوال إشبيلية فعزله الأمير عبد الله وأنفرد إبراهيم بن حجاج بولاية إشبيلية " (٢١٧).

الرهينةُ عبدُ الرحمن بن إبراهيم بن حجاج في الميزانِ:

لقد قوي أمرُ إبراهيم بن حجاج، فأخذ يشتطُّ في مطالبه على الأمير عبد الله إلى أن سأله إطلاق سراح ولده عبد الرحمن الذي كان قد ارتهنه عنده، فلما تباطأ الأمير عبد الله في إجابته أعلن خلع الطاعة ومنع الجباية (٢١٨)، ولجأ إلى التحالف مع عمر بن حفصون رغم اختلافهما، فابن حجاج عربي وابن حفصون مولد إلا أن البغض لقريش ألف بينهما"، وكان ذلك في سنة (٢٨٨ هـ / ٩٠٠م)، وغدا الاثنان قوة يحسب حسابها فغضب الأمير عبد الله من التحالف الذي تم بين إبراهيم بن حجاج وعمر بن حفصون، وقيام بن حجاج بإمداد عمر ابن حفصون

(٢١٦)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٣٣.
(٢١٧)ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٧٤.
(٢١٨)ابن حيان: المقتبس،: إسماعيل العزب، ص ١٠٥.

بالمال والرجال في حروبه ضد الإمارة الأموية، فأمر الأمير عبد الله بإحضار عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج وابن أخي عمر بن حفصون من دار الرهن وعزم على قتلهما، فنفذ القتل في ابن أخي عمر بن حفصون، فلما هم بقتل عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج تقدم نحوه وصيفه بدر بن أحمد الخصي الصقلبي وجثا بين يدي الأمير عبد الله ونصحه بإطلاق سراح عبد الرحمن لأن قتله سوف يؤدي إلى تدعيم العلاقات بين بن حجاج وابن حفصون، " وابن حجاج عربي ترجي فيئته وابن حفصون مولدي لا تطفأ غائلته" (٢١٩).

ولكن ما الدافع الذي دفعَ بدر بن أحمد الخصي الصقلبي للتوسط عند الأمير عبد الله ابن حجاج للحيلولة في تنفيذ القتل في عبد الرحمن بن إبراهيم؟ هل للسياسة والخوف على ملك بني أمية بالأندلس أم لهدف ما؟ ويذكر ابن حيان: أن بدر بن أحمد تربطه صداقة قديمة بإبراهيم بن حجاج (٢٢٠).

وقد عرض الأمير عبد الله الأمر على وزرائه، فأشاروا عليه بالعفو عن عبد الرحمن، وتدعيم صلاته مع إبراهيم بن حجاج ضماناً لحسن طاعته، وتضمن بدر طاعته، وكتب التجيبي الخازن إلى الأمير عبد الله بأن يدخل بدر في ضمان فيئة بن حجاج ويعقد على نفسه إنابته للطاعة، وكانت لكليهما بابن حجاج عرفة وصداقة قديمة، ترجع إلى فترة وجوده في قرطبة عندما كان رهينة عند الأمير عبد الله، فأطلق الأمير عبد الله سراح عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج وخلع عليه وسجل له على إشبيلية ولأخيه محمد على قرمونة، وأسلمت الكتب والخلع إلى التجيبي، فتوجه بها إلى إبراهيم بن حجاج فتقبلها وسر بها واستجاب لطاعة الأمير عبد الله على شروط منها مبلغ من المال يرسل سنوياً إلى قرطبة وإلغاء التحالف مع عمر بن حفصون مع الإبقاء

(٢١٩)ابن حيان: المقتبس؛: إسماعيل العزب، ص١٥٣.
(٢٢٠)ابن حيان: المقتبس؛: إسماعيل العزب، ص١٥٣.

على الصداقة بينهما فقط [٢٢١]، في ظلِ هذه الأحداث ما هو الضامن لكل هذه الامتيازات التي حصل عليها إبراهيم بن حجاج الذي كان رهينةً عند الأمير عبد الله في قرطبة فيما قبل.

استقرت العلاقاتُ بين إبراهيم بن حجاج في إشبيلية والأمير عبد الله، ولم يربطِ إشبيلية بقرطبة سوي الطاعة الإسمية والمال السنوي الذي يحمل إلى دار الإمارة، فضلاً عن بعض الطرائف التي كان يرسلها ابن حجاج من هدايا إشبيلية إلى قرطبة في المناسبات المختلفة، وكان لهذه العلاقة الودية أثرها في انتعاش الحياة الاقتصادية في قرطبة بانفتاح طريق إشبيلية الذي كان يمثل الباب الغربي للأندلس، قد نوه الأمير عبد الله بفضل فتاه بدر بن أحمد الصقلبي وأمر بوضع فراش له للتشاور مع الوزراء [٢٢٢].

بهذا المظهر من الخضوع والطاعة، استقرت الأمور في إشبيلية، وأبدي إبراهيم بن حجاج في إدارة ولايته همة وبراعة، واتَّخَذَ سمة الملوك وأنشأ له بلاطاً، وحرساً خاصاً قوامه خمسمائة فارس غير المشاة، وحصن مدينة قرمونة، وجعل بها مرابط خيله، وفرض الضرائب وأصلح نظم الحكم والقضاء، وعمل على توثيق أواصر المودة بينه وبين حكومة قرطبة. وكان يبعث بالأموال والهدايا إلى الأمير عبد الله، ويمده بجنده في بعض غزواته. وكان إبراهيم بن حجاج محبوب من الشعب جواداً يقصده الشعراء وينشدونه مدائحهم [٢٢٣].

(٢٢١)ابن حيان: المقتبس، المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١٥٣.
(٢٢٢)حمدي عبد المنعم: تاريخ إشبيلية، ص ٩٤، ٩٥.
(٢٢٣)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١٥٤؛ ١٥٥.

الأميرُ عبد الله بن محمد وموسى بن ذي النون:

وكان موسي بن ذي النون رهينةً عن طاعة أبيه عند الأمير محمد، فتولي موسي ابن ذي النون حكم مدينة شنت برية بعد وفاة أخيه أبي جوشن، ولقد استغلظ أمر موسي بن ذي النون في عهد الأمير المنذر وعظم خطره وأنه هاجم أهل مدينة طليطلة وأوقع بهم هزيمةً مفزعة، وذلك في العام الذي تولي فيه الأمير المنذر في أحد الروايات (٢٢٤)أو في العام الثاني من ولايته (٢٧٤هـ/٨٨٧م)في رواية أخرى (٢٢٥)، وهذا التاريخ يمثل الحكم الأول لبني ذي النون على مدينة طليطلة وقد استمر هذا الحكم لعدة سنوات حيثُ أن أهل طليطلة وهم في غالبيتهم من المولدين والنصارى (٢٢٦)قد تذمروا من حكم أسرة بني ذي النون البربر، ورأوا أنه من الأجدى لهم الدخول في سلطان إحدى الأسرِ المولدية البارزة، فاستدعوا أسرة بني قسي من الثغرِ الأعلى ، وفتحوا لهم أبواب المدينة سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) (٢٢٧).

وأخبار موسي بن ذي النون نادرة في المصادر زمن الأمير عبد الله، وذلك لننظر في أخباره بعد أن أصبح حاكما على كورة شنت برية وذلك لأنه كان رهينةً في الماضي عند الأمير محمد لكي أبين تأثير تربية الأمويين له في دار الرهن وهل حققت وجهة نظرهم أم لا، إلا أنه

(٢٢٤)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١١٦.
(٢٢٥)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٣٧.
(٢٢٦)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٤٠.
(٢٢٧)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٤٠.

هلك شاردا عن الأمير عبد الله في المحرم سنة (٢٩٥هـ/ ٩٠٧م)، وبوفاة موسي بن ذي النون توزعت السلطة في كورة شنت برية بين أبنائه (٢٢٨).

فهذه الأحداث تدل دلالة قاطعة على فشلِ التربيةِ التي تلقاها الرهائن في دار الرهن.

رهائن من المولد سعيد بن هذيل

يعد سعيد بن هذيل أحد الزعماء المولدين الذين أعلنوا عصيانهم للحكم الأموي في صدر أيام الأمير عبد الله، فدخل حصن المنتلون من كورة جيان (٢٢٩)وأهتم ببنائه وتحصينه، "وحاول الأمير عبد الله أن يثنيه عن غيه ويرده إلى حبل الدولة فأرسل إليه جيشا بقيادة عبد الملك بن عبد الله بن أمية فأذعن بالطاعة وألتزم قطيعاً من الجباية" (٢٣٠)،

ولم يلتزم ابن هذيل فيما يبدو بما قطعه على نفسه تجاه الإمارة الأموية لذا عرج عليه الجيش النافر إلى مدينة تدمير سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) (٢٣١)، ولما حلَّ هذا الجيشُ بأراضيه شرع القائد الأموي أحمد بن محمد بن أبي عبدة بنسف كل ما يحيط بحصن المنتلون، فأفسدُ الزرع وقطع الشجر، الأمر الذي أزعج ابن هذيل فخرج لمقابلة القوات الأموية، وقاتلها بشدة، إلا

(٢٢٨)مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص ٥٨.
(٢٢٩)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٦.
(٢٣٠)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٦.
(٢٣١)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٨.

أنه في النهايةِ لاذ بطلبِ الصلحِ، فأجيب إلى ذلك بعد أن قدمَّ رهائن تدلُ على صدقِ نواياه [٢٣٢].

ومن الملاحظ أن القائد الأموي بعد أن صالح بن هذيل في حصنه عمد إلى حصن آخر كان يعتصم به أنصاره، فحاربهم حتى غلبهم ثم قام بإخراجهم من ذلك الحصن الذي يسمي حصن " اللقون" [٢٣٣]، وهذا يظهر بوضوح أن الصلح الذي جري بين القائد الأموي وابن هذيل كان لا يشمل جميع الحصون الموالية له وربما كان وقفا على حصن المنتلون فقط.

وظلَّ سعيد بن هذيل فترة من الزمن يقدم طاعته للإمارة الأموية دون أن يكن الإخلاص التام لها، إذ كان لا يدخر وسعا في عون الخارجين عليها، ولكنه لم يلبث أن يتراجع تحت وطأة الرهبة أو الرغبة، فمن ذلك أنه بذل مساعدة عسكرية لعمر بن مهضم [٢٣٤]الذي خرج على عامل جيان وقتله، ولكن سرعان ما تغير موقفه منه بعد أن ضغط عليه قائد الجيش الأموي الذي خرج لقتال عمر بن مهضم، فلما تقابل هذا الأخير مع الأمويين أمر ابن هذيل جنوده الذين أرسلهم مددا له بالتخاذل عن القتال، فكان ذلك السبب الرئيسي في القضاء على عمر بن مهضم سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م)الذي طلب الأمان من القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة، فقدم به إلى قرطبة [٢٣٥].

(٢٣٢)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١٣٦.
(٢٣٣)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١١٦.
(٢٣٤)لعمر بن مهضم الهترولى: يعرف بالملاحي لأن أصله من قرية " ملاحة "، وينسب إلى البربر، وكان أحد الجنود المدونين لدي عامل جيان، فتحركت عنده الرغبة في حكم جيان، فقتل عاملها، ونصب نفسه بدلا منه، إلا أن الأمير عبد الله لم يرضي عن هذا التصرف الصارخ وخاصة أن دولته قد قويت في ذلك الحين، فأرسل جيشا إليه، فأستطاع هذا الجيشأن يجبر بن مهضم على الإستسلام، حيث قبض عليه وأخذه إلى قرطبة، وبذلك تم القضاء على حركته؛ ابن حيان: المقتبس،: إسماعيل العزب، ص ٤٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٦.
(٢٣٥)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٥.

وحينما وجد ابن هذيل إصرارا من زعيم المولدين عمر بن حفصون على نقض كيان الدولة قام بعقد حلف وثيق معه، أظهر عصيانه للأمير عبد الله، على الرغم من كون دولته آنذاك في أعز أيامها، وعلي آثر ذلك اجتمع بن هذيل سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)مع عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة فأغاروا على نواحي مدينة جيان [٢٣٦]، وعندما هزمتهم جيوش الإمارة الأموية هربوا إلى حصن جريشة القاعدة الأولي لابن هذيل، ولم تتأخر الدولة الأموية في قتال بن هذيل بعد إقدامه على هذا التحالف الخطير إذ سارع القائد الأموي الذي نجح في هزيمة القواد الثلاثة في التضييق على بن هذيل فافتتح بعض حصونه [٢٣٧]، وبالرغم من أن الأمير عبد الله تابع إرسال الحملات لإعادة ابن هذيل للطاعة خلال السنتين الأخيرتين من عهده [٢٣٨]، إلا أن ابن هذيل استمر مصارحا بالخلاف، ومكاشفا لها بالعصيان حتى توفي الأمير عبد الله سنة (٣٠٠ هـ/٩١٢م) [٢٣٩].

رهائنُ ابنِ السليم في كورة شذونة

ينتمي ابن السليم (منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن عكرمة جعفر بن يزيد بن عبد الله [٢٤٠]) لموالي الأندلس، وعندما اعتلي الأمير عبد الله عرش الإمارة الأموية كان منذر ابن

(٢٣٦)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٥؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٦.
(٢٣٧)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٦.
(٢٣٨)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١٤٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٧-١٤٩.
(٢٣٩)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١٤٧؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٧-١٤٩.
(٢٤٠)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٣، ٤٤.

إبراهيم أحد المتمردين الذين ظهروا في أنحاء الأندلس (٢٤١)، ولكنه مع ذلك اقتصد في سيرته ورفض التصريح بنبذ الطاعة، وقنع أن يترك حاكما لمدينته كغيره من الثائرين (٢٤٢).

ولقد كان تمرد بني السليم ضد الإمارة الأموية غير متوقع، وذلك لأنهم عرفوا بولائهم للإمارة الأموية وارتبطوا بها منذ نشأتهم، فقد كان جدهم أبو عكرمة من زعماء الموالي الذين ساعدوا الأمير عبد الرحمن الداخل في تأسيس دولته (٢٤٣)، كما أن بعض أفراد الأسرة تقلدوا مناصب رفيعة في عهد عبد الرحمن الأوسط (٢٤٤)، والأدلة على ذلك أنه في الوقت الذي رفع فيه منذر بن إبراهيم لواء التمرد ضد الإمارة الأموية كان عمه سعيد بن محمد بن السليم (٢٤٥)يترقى في الوظائف إلى أن أصبح حاجبا للأمير عبد الله (٢٤٦)، ولكن لماذا خرجت هذه الطائفة من أسرة بني السليم على الأمير عبد الله؟

يمكنُ تبرير هذا الخروج بسبب سياسة الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط في بداية حكمه في حق بعض أبناء بني السليم، الذين قاموا بالهجوم على دار الحكم في شذونة، واستولوا على بعض الأموال، وأن أولي الأمر والنهي في هذا الإقليم أعادوا الأمور إلى نصابها وردوا الأموال إلا أن الأمير محمد قام بسجن هؤلاء الأحداث، فبقوا في سجنه نحو عشرين سنة، فلما طال بهم الحبس أحرقوا السجن ليلاً وتمكنوا من الخروج منه فبعث الأمير محمد في طلبهم، وقتلهم

(٢٤١)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢٤٢)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٥.

(٢٤٣)ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: محمد الأحمدى، دار التراث، القاهرة (د. ت)، ج١، ص ٢١٤.

(٢٤٤)الخشنى: قضاة قرطبة، ص١٣٢.

(٢٤٥)سعيد بن محمد بن السليم: تولي ولاية كورة شذونة قبيل تولي الأمير عبد الله إمارة الأندلس، وعندما تولي الأمير محمد الإمارة ولاه ولاية السوق بمدينة قرطبة فضبط أمر العامة وظهرت منه صرامة أكسبتته مهابة، وأستمرت ولايته للسوق ثلاثين يوما، ثم ولاه الأمير عبد الله الحجابة سنة (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)وتوفي لأربع خلون من ربيع الآخر سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م)؛ ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١١٥؛ ابن حيان: المقتبس: إسماعيل العزب، ص٤٢٠ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٦٦.

(٢٤٦)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٤٧.

جميعا بدون استثناء [٢٤٧]، فربما أن هذه القسوة التي اتبعها الأمير محمد في معالجته لتلك القضية جعلت قسم من بني السليم تنفر من سياسته، هذا القسم انضم بقوة تحت لواء منذر بن إبراهيم في تمرده.

وكان وجودُ سعيد بن محمد بن السليم ضمن رجال الإمارة الأموية أحد الأسباب القوية التي أدت إلى عدم اتساع ثورة منذر بن إبراهيم وجعلت ثورته محدودة وضعيفة، ومن ثم لا يشكلون خطرا على الدولة، وذلك لأن أغلب بني السليم كان ولائهم للدولة الأموية بتأثير من سعيد بن محمد بن السليم.

وفي سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) تحرك المطرف بن الأمير محمد وكان معه القائد عبد الملك بن أمية بالصائفة، وعرجوا على مدينة ابن السليم [٢٤٨]، وسرعان ما خضع منذر بن إبراهيم للطاعة وقدم الرهائن فأمنه الأمير المطرف [٢٤٩]، ثم قتل منذر بن إبراهيم على يد أحد مماليكه يدعى غلنده [٢٥٠].

رهائنُ طالبِ بنِ مولود: -

يلحق العذري طالب بن مولود بطائفة موالي الأندلس، و كان يقطن في كورة شذونة، وكان من صانعي الأمير عبد الله قبل ولايته، فلما صار الأمير عبد الله حاكما للبلاد قربه إليه وأسكنه

(٢٤٧)ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١٠٩.

(٢٤٨)مدينة إبن السليم: سميت بهذا الإسم نسبة لإبن السليم جد منذر بن إبراهيم، وكانت هذه المدينة حاضرة لمدينة شذونة؛ لذلك عرفت مدينة شذونة بمدينة ابن السليم، الذين لجأوا إليها إليها عند خراب مدينة قلشانة ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٦٦.

(٢٤٩)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١٣٥.

(٢٥٠)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٤٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٥.

عنده في قرطبة [٢٥١]، ولعل الصلة بينهما جاءت عندما كان الأمير عبد الله عاملا على كورة شذونة [٢٥٢]وخرج طالب بن مولود من قرطبة إلى شذونة وأعلن ثورته من حصن أقوط [٢٥٣]، ونجح في مد نفوذه إلى الأراضي المجاورة، فأحكم قبضته على كورة مورور [٢٥٤]، وبدأت تحركاته سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)وكانت دعوته مضرية وقصد المولدين في إشبيلية، ونشر الفوضى في أرجاء إشبيلية، وأصبح طالب بن مولود يؤرق بال الإمارة الأموية، فأرسل إليه الأمير عبد الله حملة عسكرية بقيادة ابنه المطرف سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م)،حيث قام بمحاصرة حصن منت فيق [٢٥٥]وأفسد ما حوله من الزروع والأشجار، الأمر الذي أثار أهله فاشتبكوا مع محاصريهم، وسار الجيش الأموي رأسا إلى حصن أقوط، وتقاتل مع طالب بن مولود الذي كان يعسكر فيه، فحلت الهزيمة بطالب وجنوده، ولما رأي أنه لا طاقة له في الحرب أذعن للطاعة، وتوثق منه وأخذت رهينته وأشهد على أمانته [٢٥٦]،وتعرض طالب لخيانة من قبل أصحابه إذ غدر به عبد الله بن حميد الذي تحيل عليه وتمكن من احتلال حصن أقوط [٢٥٧]، فلم يستطع طالب استرداد هذا الحصن الذي يعتبر قاعدته الرئيسية، فأنتقل إلى حصن جبل الحجارة [٢٥٨]وجعله مركزاً لنشاطه [٢٥٩].

(٢٥١)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.
(٢٥٢)الخشنى: قضاة قرطبة، ص ١٨٦؛ ابن القوطية: تاريخ إفتاح الأندلس، ص ١١٥.
(٢٥٣)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.
(٢٥٤)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٤.
(٢٥٥)حصن منت فيق: يقع على ضفة نهر إيرة الذي يصب على مقربة من جبل طارق، وهذا الحصن بناه طالب بن مولود عند تمرده على الإمارة الأموية؛ ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٤.
(٢٥٦)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٣٤.
(٢٥٧)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.
(٢٥٨)حصن جبل الحجارة: يقع في كورة شذونة بناه طالب بن مولود؛ العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.
(٢٥٩)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ١١٤.

ولم يتقيدْ ابن مولود بالاتفاق المبرم بينه وبين الدولة الأموية حيث عاد إلى العصيان مرة أخرى، فخرجت إليه القوات الأموية في صائفة سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) بقيادة القائد أبو العباس أحمد بن أبي عبدة إلى الجنوب الأندلسي، ووضعت مناجزته على قمة مهامها، فقصدته في منطقة تمرده ونجحت في قتله، في صدر ربيع الآخر سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) (٢٦٠).

مساورُ بنُ عبد الرحمن يقدم الرهائن:

وفي سنة (٢٩٤هـ/٩٠٦هـ) كان غزو أبان ابن الأمير عبد الله عبد الله بالصائفة إلى الجزيرة وقاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة، وحل بالجزيرة وتقدّم إلى حصن لوزة يوم السبت لانسلاخ رجب؛ فحارب الحصن وحاصره، وقتل جماعة ممن فيه؛ ثم تقدم إلى حاضرة رية، فيها مساور بن عبد الرحمن (٢٦١)؛ فأُحرقت أرباض الحاضرة وحوصر من كان فيها؛ فدعا مساور إلى السلم، وبذل الرهائن فأجيب إلى ذلك، وقبضت رهائنه (٢٦٢).

ومن المحتمل أن مساور بن عبد الرحمن كان يدين بالولاء والطاعة لعمر بن حفصون.

(٢٦٠)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٥١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٢.
(٢٦١)لم أحصل له على ترجمة؛ وأن ذكره لم يرد إلا في موضعين فقط عند ابن حيان، تحقيق إسماعيل العزب، ص ١٦٤؛ وابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٩.
(٢٦٢)ابن حيان: المقتبس،: إسماعيل العزب، ص ١٦٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٣٩.

عبدُ الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي حاكماً على بطليوس

عرفنا في السابق أسرة مروان الجليقي، وتمرد عبد الرحمن بن مروان على الأمير محمد في كورة ماردة، وأن الأمير محمد اضطر إلى الاعتراف به حاكما عليها، وليستأمن لطاعته اخذ منه قبله ثلاثون رجلاً من قومه معهم ولده محمد وحفيده عبد الله بن محمد رهائن يصحبهم إلى قرطبة، (٢٦٣).

والمصادر نادرة في معلوماتها عن ابن مروان الجليقي في عهد الأمير المنذر، وكل ما لدينا عن هذه الفترة أن ابن مروان الجليقي استغلظ شأنه في بلاده ووقعت بينه وبين زعيم البربر في ماردة محمد بن تاجيت (٢٦٤)حروباً شنيعةً كان النصر فيها حليفه، كما ضم لبطيوس قاعدته أراضي واسعة (٢٦٥)، وحينما تولي الأمير عبد الله الحكم بادر عبد الرحمن بن مروان الجليقي بإظهار الولاء له، وكتب له " أن يحدد له سجلا على بلده، وعقدا على قومه المولدين فأجابه إلى ذلك (٢٦٦)ليس هذا فقط بل إن الأمير قدم له العون من أجل بناء بعض المرافق العمرانية في مدينة بطليوس (٢٦٧)، ورغم صلات عبد الرحمن الجليقي الودية بالأمير عبد الله، إلا أنه

(٢٦٣)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٣٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام: ج١، ص ٣٠٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٥٧.

(٢٦٤)محمد بن تاجيت: هو محمد بن تاجيت بن مناع بن مسعود بن الفرج بن راشد المصمودى، أمير البربر البرانس في أقاليم ماردة، وأعلن خروجه على الإمارة الأموية، وعاد للطاعة بعد سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م)، ولقد حكم مدينة ماردة بعد وفاة محمد بن تاجيت ابنه تاجيت، ثم حفيده مسعود الذي استنزله عبد الرحمن الناصر منها سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م).ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٧١، ١٧٢.

(٢٦٥)ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٧٠، ١٧١.

(٢٦٦)ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٧٥؛ البكرى: جغرافية الأندلس،ص ١٢٢، ١٢٣.

(٢٦٧)البكرى: جغرافية الأندلس،ص ١١٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٩٣.

هاجم كورة إشبيلية وما حولها سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)وعاد إلى قاعدته [٢٦٨]، وتوفي بعد عودته من المدينة في السنة نفسها [٢٦٩]، فخلفه ابنه مروان بن عبد الرحمن الجليقي سنة (٢٧٦هـ/ ٨٨٩-٨٩٠م)والذي دخل في صراع مرير مع البربر المجاورين، ولكن ذلك لم يدم سوي شهرين، لأن هذا الابن قد لحق بأبيه [٢٧٠].

استفاد الأميرُ عبدالله من الحروب الناشبة بين بني مروان الجليقي والبربر فأعاد مدينة بطليوس لحكمه المباشر، فولي عليها أميرين من قبله بعد وفاة مروان بن عبد الرحمن الجليقي، لا تحدد المصادر العربية أسمائهم، فكان هذا سببا في جلاء أسرة الجليقي عن مدينة بطليوس وحلولهم بحصن شونة، ثم التحقوا بأحد حلفائهم وبدءوا ينتظرون الفرص للعودة إلى بلدهم، حتى نشب خلاف بين الأميرين الذين أسندت لهم ولاية بطليوس من قبل الأمير عبد الله، فقتل أحدهما الآخر واستقل بالحكم فيها وحينئذ تهيأت الفرصة لعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي [٢٧١]حفيد عبد الرحمن الجليقي الذي كان رهينة عند الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وأقام بدار الرهن في قرطبة [٢٧٢]حيث كان رهينة عن طاعة جده عبد الرحمن بن مروان الجليقي، ونريد أن نتعرف على علاقته بالإمارة الأموية وهل أثرت التربية التي تلقاها في دار الرهن في سلوكه وأنه سوف يكون أداة طيعة في يد الأمويين أم أن التربية التي تلقاها كانت فاسدة جعلته خارجا على بني أمية، وهذا ما سوف توضحه الأحداث التالية.

(٢٦٨)ابن حيان المقتبس،: إسماعيل العزب، ص٧٥.
(٢٦٩)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٢٤.
(٢٧٠)ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٧٢.
(٢٧١)ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٧٢.
(٢٧٢)ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص٣٣.

قدم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي إلى بطليوس وقتل حاكمها المستقل سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م)، ونصب نفسه واليا عليها فاسترد بذلك ملك أسرته، ولقد استأنف عبد الله بن محمد الجليقي الحرب مع البربر المحيطين به إلى أن أخضعهم كما حارب ابن تاجيت زعيم بربر ماردة، ثم اصطلح الطرفان وأعطي كل منهما الطاعة للأمير عبد الله فهدأت الأحوال بذلك، على أنه لم يمر وقت طويل حتى تجدد النزاع بينهما مرة أخرى (٢٧٣)أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر، وأن نفوذ عبد الله بن عبد الرحمن الجليقي صاحب بطليوس اشتمل على مدينة ماردة ويابرة وبعض الحصون كحصن أروش وقلعة الحنش ومنتانجش ومنت شلوط، وتحالف عبد الله الجليقي مع بعض الثوار أمثال مسعود بن سعدون السرنباقي الذي كان متحصنا بحصن نياني، ولكن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقي قتل سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)" قتله أصحابه لخلاف وقع بينهم، فرفع الله به عن المسلمين شراً شديداً" (٢٧٤)

فالواضح أن قتلته كانوا من جملة أنصاره اختلفوا معه لأمر خطير ربما يتعلق بتسليم بطليوس لعبد الرحمن الناصر، والكف عن الخلاف للجماعة، وإن كان ابن حيان يختتم نصه بعبارة يفهم منها أن قتله جاء خيراً للمسلمين، وفي هذه الحالة يمكن تفسير سبب قتله بنيته في التحالف من جديد مع أردون ملك ليون وأشتوريش (٢٧٥).

ونلاحظ من خلال الأحداث السابقة أن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقي كان

(٢٧٣)ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٧٢.
(٢٧٤)ابن حيان: المقتبس، شالمتيا، ص ٩٦. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٨٥.
(٢٧٥)سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٣٢٦.

كان معاديا للإمارة الأموية خارجاً عن الطاعةِ، وأن التربية التي تلقاها في دار الرهن فاسدةً لم تحقق الهدف المرجو منها، والتي كان السبب فيها نظرة الكراهية والدونية التي نظر بها كبار رجال دولة بني أمية العرب للمولدين والبربر وللخارجين على طاعة الإمارة الأموية، ولو أن هذه التربية كانت صالحة وتم تعليم هؤلاء الأطفال تعاليم الدين وأمور الجهاد وزرع حب الأمويين في نفوسهم لتغيرت الأمور كثيراً.

الصراع بين محمد بن عبد الملك (الطويل) وبين لب بن محمد

ينتمي محمد بن عبد الملك الطويل إلى بني شبريط الذين كانوا يمثلون إحدى الأسر المولدية البارزة في الثغر الأعلى، وكان ظهوره لأول مرة على مسرح الأحداث حينما استولى على الحكم في مدينة وشقة ونواحيها بعد أن قتل حاكمها مسعود بن عمروس أحد أبناء عمومته من بني عمروس سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م) (٢٧٦)

ولقد اقتفي محمد بن عبد الملك الطويل سياسة أبناء عمومته من قبله في بذل فروض الطاعة لحكومة قرطبة، ولما تولي الأمير عبد الله مقاليد الحكم في البلاد سارع ببعث بيعته إليه، فما كان من الأمير إلا أن أقره على عمله، وسجل له على المناطق التي كانت تحت نفوذه، فأصبح بهذا يحكم أراضيه حكما ذاتيا (٢٧٧)،

(٢٧٦)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص٦٤، ٦٥.
(٢٧٧)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص٦٥.

ورغب محمد بن عبد الملك في الاستيلاء على الأراضي التي تحت حكم جاره من الشرق إسماعيل بن موسي القسوي وذلك عندما اعتلت صحته في سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م)، وسنحت له الفرصة عندما خرج موسي ومطرف ابنا إسماعيل للقيام ببعض الأعمال المتعلقة بولاية أبيهما حيث كان الأخير قد فوض شئون ولايته لابنيه المذكورين فكمن لهما محمد بن عبد الملك، فجرت بينهما حروب شديدة، تمكن فيها من قتل موسي بن إسماعيل وأسر أخيه مطرف، ثم تغلب على مدينة لاردة وبربطانية اللتين كانت ضمن أملاك إسماعيل بن موسى (٢٧٨).

ولم يكن باستطاعة إسماعيل بن موسي الذي أنهكه المرض أن يتحمل هذه المصيبة التي نزلت به، فسرعان ما هلك، وعندئذ وقع نزاع بين محمد الطويل ومحمد بن لب بشأن المناطق التي كان يحكمها، وقد تم حسم الخلاف بالرجوع إلى الأمير عبد الله الذي فضل إلحاق أملاك إسماعيل بن موسي بولاية ابن أخيه محمد بن لب بن موسى، أما المدينتان اللتان كان محمد ابن عبد الملك قد اقتطعهما من أملاك إسماعيل وهما مدينتي ماردة وبربطانية فاصطلحا على أن يتخلى الطويل عن لاردة لمحمد بن لب بينما تبقي مدينة بربطانية تحت ملكه (٢٧٩).

فمن الواضح أن محمد بن عبد الملك الطويل لم يكن قد بلغ مبلغ القوة التي تؤهله من الوقوف في وجه ابن لب، لذلك أبدي رضاه عن حكم الأمير عبد الله، إلا أنه ظل يضمر العداء لخصمه محمد بن لب فكان يتربص به الدوائر ويرغب في انتزاع تلك الأراضي التي حرم منها، فقد انتهز فرصة انشغال محمد بن لب في محاصرة سرقسطة فحشد حشوداً كثيرةً سنة (٢٨٣هـ/٨٩٧م) وحاولَ أن يضربَ لب بن محمد الذي أرسله والده لبناء بعض الحصون في المناطق الشرقية من الثغر، ومع أن محمد الطويل كان أكثر نفرا من لب بن محمد إلا أن الهزيمة

(٢٧٨)ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٨٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٤٢.
(٢٧٩)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١١٨.

في النهاية حلت به فقتل جملةً عظيمةً من أصحابه، وتمَّ أسر جماعة أخرى كان أخوه فرتون بن عبد الملك منهم (٢٨٠).

لقد وحدت عداوة محمد الطويل لبني قسي الكلمة بينه وبين أسرة بني تجيب العربية الحاكمة في مدينة سرقسطة، لذا فمجرد أن قتل حمد بن لب سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م)أثناء حصاره لهذه المدينة بادر الطويل بحشد جموعه وحمل الكثير من المتاع وقصد مدينة سرقسطة فزود أهلها بالمؤن، ولم يكتفِ بذلك بل أغار على القوات المحاصرة، وشتت شملها (٢٨١)وحينما علم لب بن محمد بن لب بعد عودته من الجنوب الأندلسي بما فعله محمد الطويل خف مسرعا للانتقام منه، فأتجه إلى عاصمته وشقة وكمن له قربها، ثم أمر خيلا بالإغارة عليها، فلما خرج الطويل لمدافعها طَوَّقه لُب بن محمد بجموعه، فَقُتل العديد من أصحابه وتمكن من أسره (٢٨٢).

لقد دفع محمد الطويلُ الثمن غالياً لتخليصِ نفسه من الأسر، إذ لم يطلقه لُبْ ابن محمد إلا بعد أن تكفل له بالتنازل عن مدينتي بربطانية ووشقة، فلما سلمت له حاضرة وشقة وما حولها عدل الاتفاق بأن يدفع الطويل مئة ألف دينار بدلا من تسليم بقية الأراضي التي اصطلح عليها، فدفع النصف الأول من المبلغ، أما النصف الثاني فقد أمهله لَب فيه بشرط أن يقدم له ابنه عبد الملك وابنة عبد الملك " سيدة" ونفرا من بني عمه أن يقدمهم باعتبارهم رهائن حتى يتم التسديد، ولم يمض وقتٌ كثيرٌ حتى زف عبد الملك بن محمد الطويل ابنته سيدة إلى لب بن محمد، وبهذه المصاهرة رد هذا الأخير أملاك الطويل عليه وأسقط عنه المبلغ المتبقي وأطلق الرهائن، فقامت بينهما علاقات ودية (٢٨٣).

(٢٨٠)ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١١٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٤٣.
(٢٨١)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص٣٧.
(٢٨٢)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص٦٥.
(٢٨٣)العذرى: نصوص عن الأندلس، ص٦٥، ٦٦.

ولقد ركن محمد بن لب إلى الهدوء في حياة لب بن محمد فلما قتل لب عام (٢٩٤هـ/ ٩٠٦م) [٢٨٤]تحرك مرة أخرى لتنفيذ مخططاته التي كان يطمح إليها، فتوسع على حساب بني قسى، حيث استولى على عدد من الحصون، كان أبرزها حصن بربشتر [٢٨٥]، وفي سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م)ضم إليه حصن منتشون [٢٨٦]وباحتلال الطويل هذه المواضع يكون قد أنهي حكم بني قسي في شرقي الثغر الأعلى ، فأصبح ملكهم يقتصر فقط على الجهات الغربية، ورغم ذلك لا نجد معارضةً صريحةً من جانب زعيم بني قسي عبد الله بن محمد بن لب الطويل على هذا التوسع، فلعل السبب في ذلك أن زعيم بني قسي كان يري نفسه غير قادر على مواجهة جاره الذي اشتدت شوكته في الثغر الأعلى بعد إحرازه انتصارات رائعة على النصارى المجاورين [٢٨٧].

ولقد ظل محمد بن عبد الملك الطويل على علاقة حسنة مع حكومة قرطبة طوال عهد الأمير عبد الله، فكان يُبدي طاعته الإسمية لها، ويحكم بلاده حكما ذاتيا بحيث أنه كان يعين بنفسه موظفي منطقته دون الرجوع للأمير عبد الله [٢٨٨].

(٢٨٤)ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص١١٨.
(٢٨٥)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٤٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٤٢.
(٢٨٦)حصن منتشون (Monzon)أحد الحصون التابعة لمدينة لاردة، وهو إلى الجنوب من بربشتر. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٠٧؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج٢، ص ١٩٦.
(٢٨٧)عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٤٣.
(٢٨٨)ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٨١.

الأميرُ عبدُ الرحمن الناصر وتوحيدُ الأندلسِ والقضاءُ على المتمردين:

توفي الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أمير الأندلس في مستهل ربيع الأول سنة (٣٠٠ هـ/١٥ أكتوبر سنة٩١٢م)بعد حكم طويل عاصف، مزقت فيه أوصال المملكة ونضبت مواردها، فخلفه في نفس اليوم على العرش حفيده عبد الرحمن ابن ابنه محمد، غير متجاوز الثالثة والعشرين من عمره، و أخذ الأمير عبد الرحمن الناصر البيعة من الخاصة والعامة في قرطبة وانفذت الكتب بأخذ البيعة إلى العمال في سائر الكور والنواحي، وكان الأمير عبد الرحمن يري أن خطة التردد والرفق التي اتبعها أجداده نحو الزعماء الخوارج كانت سياسة خطرة، ولم تكن ناجحة، وأنه لابد لاستتباب الأمن واستقرار السكينة، من سحق الثورة وزعمائها بأي الوسائل (٢٨٩).

وأعلن عبد الرحمن الناصر منشوراً عاماً يؤكد على التسامح بحق المتمردين الذين يعلنون الولاء والطاعة للسلطة المركزية والقضاء على المتمردين (٢٩٠)وأرسل حملته الأولي إلى المناطق الثائرة بقيادة وزيره عباس بن عبد العزيز القرشي، هزموا فيها الفتح بن موسي وقتلوا حليفه الرياحي المعروف بأذبلش وبعثت رأسه إلى قرطبة (٢٩١). وأصبحت سياسة الدولة الأموية في عهد عبد الرحمن الناصر أكثر حزماً وقوة في معاملةِ المتمردين ومما زاد في حماسة الجنود أنهم رأوا أميرهم الشجاع في مقدمتهم (٢٩٢).

(٢٨٩)عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص٣٧٤، ٣٧٥.
(٢٩٠)أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٨٠.
(٢٩١)السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٥٦.
(lane Poole:Stanley, the moors in span, khayatsreprint, (Beirut1967),p19. (6

المتمردون يقدمون الرهائن للأمير عبد الرحمن الناصر مقابل العفو:

أصلح الأمير عبد الرحمن أمر الجزيرة الخضراء وأقاليمها، ثم رحل عنها بالعسكر إلى حاضرة قلسانة [٢٩٣]سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)، وعند حركته من الجزيرة الخضراء، هرب ولد حبيب بن عمروس بن سوادة المنتكث بقرمونة عندما بلغه غدر أبيه حبيب، فلحق بأبيه، وهرب عند ذلك أيضا محمد بن سليمان بن عبد الملك الشذوني المعروف بالرهيني، ورحل العسكر من قلسانة فوصلا حصن أركش وفيه نمارة بن سليمان أخو الرهيني الفار من العسكر، ونازله الناصر لدين الله، فترددت رسله ورسل أخيه اللاحق به على الأمير عبد الرحمن الناصر راغبين في الطاعة باذلين رهنهما للوثيقة منهما على أن يباح لهما حصن الأصنام خاصة، وأرسلا في عقد ذلك لهما سهيل بن عبد الله بن أسيد وأجابهما الناصر وسجل لهما على حصن الأصنام وقبض ولديهما رهينة [٢٩٤].

عبدُ الرحمن الناصر يستنزل الثوارَ رهائنَ في مدينةِ قرطبة:

اتجه عبدُ الرحمن الناصر إلى عبيد الله بن أمية بن الشالية وهو من زعماء المولدين البارزين وقد خرج على الأمير عبد الله في جبل شمنتان [٢٩٥]الواقع شمال حاضرة جيان وقد استفحل أمره

(٢٩٣)قَلْسانة: بالفتح ثم السكون وسين مهملة وبعد الألف نون وهي ناحية بالأندلس من أعمال شذونة وهي مجمع نهر بيطة ونهر لكة وبينها وبين شذونة أحد وعشرون فرسخا. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٨٩.

(٢٩٤)ابن حيان المقتبس، ج٥، ص٨٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٣٧٥؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٥٦.

(٢٩٥)شمنتان: بلد بالأندلس من عمل المرية قرب جيان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٣٦٤.

وعلا شأنه، وأمتد سلطانه إلى حصن قسطلونية، واستطاع الأمير عبد الله هزيمته في معركة جرت بينهما، فالتزم عبيد الله بدفع قطيع من المال للإمارة الأموية على أن تتركه يحكم أراضيه، ولكنه عاد إلى غيه ووالى عمر بن حفصون (٢٩٦)، ولما تولي عبد الرحمن الناصر وغزا غزوته الأولي إلى جيان سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م)خرج إليه عبيد الله مغالطا في طاعته إياه فأمر بالقبض عليه ولكنه استسلم دون مقاومة، وطلب الأمان، ونزل عن جميع حصونه ومعاقله وأرسل إلى معاقله من ضبطها وحمل عياله إلى قرطبة، فصار في الديوان بها في أعلي الملاحق، وصرفه الناصر في ضروب خدمته (٢٩٧).

في سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م)سارَ الأميرُ عبد الرحمن الناصر بالصائفة يقصد بنبلونة، فنازل في طريقه عبد الرحمن بن وضاح المنتزي على مدينة لورقة من كورة تدمير، وكان عبد الرحمن بن وضاح ثائراً منذ أيام الأمير عبد الله، وضايقه الأمير عبد الرحمن حتى أذعن بالطاعة، وسأل الأمان لينزل إليه فأعطاه إياه ونزل إليه، فأشخصه إلى قرطبة بعياله وماله، فدخلها في يوم مشهور وأحتفل فيه الناس لرؤيته (٢٩٨)ورعي له الأمير عبد الرحمن ولاءه فقدمه وأكرمه واستعان به في كثير من أعماله إلى أن توفي بن وضاح في قرطبة سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) (٢٩٩)، واستنزل كذلك الأمير عبد الرحمن، محمد بن عبد الكريم بن إلياس الذي كان ممتنعا بقرية ورد من كورة شذونة على عهد الأمير عبد الله، فاستنزله عبد الرحمن الناصر إلى جواره بقرطبة وكرم منزلته (٣٠٠)، واستنزل ابن عطاف العقيلي الذي كان خارجا على الأمير عبد

(٢٩٦)ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٢٥.
(٢٩٧)ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٢٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٣٧٦.
(٢٩٨)ابن حيان المقتبس، ج٥، ص ١٩٦.
(٢٩٩)ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٢.
(٣٠٠)ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٤.

الله في حصن منتشية [٣٠١]، ووالى ابن حفصون، وذلك في سنة (٣١٣هـ/ ٩٢٥م)وجعله في مدينة قرطبة [٣٠٢].

ويتبين لنا أن الأمير عبد الرحمن الناصر قام باستنزال هؤلاء الخوارج وجعلهم في قرطبة تحت عينيه وقرب بعضهم لمهارتهم الإدارية والسياسية وجعل حياتهم رهنا ببقائهم في مدينة قرطبة.

عمر بن حفصون يقدم ابنه رهينة لإتمام السلم مع عبد الرحمن الناصر (٣٠٣هـ/ ٩١٥م)

بدأت خطة الناصر بالقضاء على حلفاء ابن حفصون في كورة البيرة ونواحيها وأغلبهم من المولدين مثل سعيد بن هذيل وعبيد الله بن الشاليه، وسميت هذه الغزوة بغزوة المنتلون واستولى الناصر فيها على (سبعين)حصنا كبيرا مع توابعها التي بلغت (ثلاثة مائة)ما بين حصن وبرج وهاجم الناصر سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)مدينة ريه والجزيرة وبذلك حرم ابن حفصون من معونات الدولة الفاطمية في المغرب وأحرقت مراكبه [٣٠٣]وبذلك أرغم المتمرد عمر ابن حفصون على طلب الصلح سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٩م)، فبعث إلى الناصر يخطب وده، ويلتمس الصلح، مستشفعاً بما كان منه في إيواء الأمير محمد والد عبد الرحمن وحمايته، حينما فر من أبيه الأمير عبد الله، وقام بالوساطة في ذلك يحيى بن إسحق طبيب عبد الرحمن، وكان صديقاً

(٣٠١)حصن منتشية: بالفتح وهي بلدة صغيرة من كورة جيان اندثرت نماما في الوقت الحاضر، ووصفها ياقوت بأنها حصينة مطلة على بساتين وأنهار وعيون. ابن حيان المقتبس، تحقيق إسماعيل العزب، ص ٤٩.
(٣٠٢)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٦.
(٣٠٣)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٦٤، ١٦٥.